مقدمة

الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله المبعوث بالحق ، بعث بالإسلام فكان الإسلام أساساً لقوة معتنقيه ، وجامعاً لكلمتهم ، ومبعثاً لنهضتهم من فجر التاريخ ومن يوم أن قامت للمسلمين دولة إلى يومنا هذا ، وسوف لايزال كذلك إلى ماشاء الله .

أما بعد ، فإننا نعيش الآن فى عصر نهضة عامة ، نهضة شملت جميع البلاد العربية والشرق الإسلامى ، وتغلغلت فى جميع مناحى الحياة فى هذا الشرق الناهض ، فظهر أثرها واضحاً فى الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية . أريد أن أقول : إننا نعيش فى عصرٍ نشهد فيه انبعاث الشعوب الشرقية المسلمة وحركتها الدافعة إلى الأمام فى شتى مناحى الحياة ، فى ميدان التحرر والاستقلال ، وميدان الثقافة والحركة العقلية ، وميدان الاقتصاد والاجتماع ، وكل ناحية من نواحى النهوض والتقدم .

وهذه الشعوب الناهضة تختلف ولاشك اختلافاً كبيراً فى نهضاتها وفق الأوضاع واللابسات الخاصة بكل منها ، فبعضها قد ابتدأ يلج باب النهوض أو ابتدأ يسير فى طريقه ، وبعضها الآخر قد قطع فى ذلك أشواطا أو تم فيه بعض المراحل .

ألا وإن الشعوب الإسلامية ، عربية وغير عربية ، فى حاجة شديدة إلى التعاون والتآزر حتى يصل كل منها إلى الهدف المنشود من النهوض والتحرر والاستقلال . وهذا التعاون اللازم لا يتم على الوجه الأكمل إلا بعد التعارف ، بعد أن يعرف بعضنا بعضاً معرفة صحيحة خالصة من شوائب القطيعة والتحزب الذى فرقنا سابقاً وأفسد من شئوننا وأضعف من قوتنا ومكن للنفوذ الأجنبى من رقابنا ؛ فإننا إذا تعارفنا تفاهمنا ، وإذا تفاهمنا اتحدنا وعملنا ـ ونحن جبهة واحدة قوية ـ فى سبيل التحرر والنهوض .

* * *

وعلى هذا الأساس قام بحثنا ودراستنا لحاضر العالم الإسلامى ، متجردين عن الهوى والغرض ، ومبتعدين عن كل لون من ألوان الحزبية لنصل إلى الحقيقة المجردة ، ولنستطيع أن نقدم للقارىء صورة صحيحة سليمة لكل دولة من دول العالم الإسلامى فى حاضره التى نتعرض لدراسة أحوالها .

وكان عمادنا فى البحث التقصى عن الحقيقة ومحاولة الوصول إليها من مصادرها الأصلية بقدر المستطاع ، غير متأثرين فى البحث برأى حزبى أو مذهب معين ، وعاملين على رد المسببات إلى أسبابها وربط الحوادث التاريخية بعضها ببعض ، مع اعتبار أن جميع الأحداث التى تقع فى المحيط العام للدول العربية والإسلامية على الإطلاق ، كل تترابط أجزاؤه وتتفاعل ، وإن حدث بعضها هنا والبعض الآخر هناك .

ولقد قررنا دائما ما نعتقده الحق بكل صراحة ووضوح ، وصممنا على أن نستمسك به وأن ندافع عنه ما دام هو الحق والصواب فى نظرنا ؛ على أننا على استعداد دائما لأن نتنازل ، مع الاطمئنان والسرور ، عن كل رأى لنا يثبت لدينا فيما بعد أن الحق والصواب خلافه . وكانت خطتنا فى بحث المسائل التى يختلف الرأى فيها أن ندرس الآراء المتعارضة ونعرضها على صورتها التى لها عند أصحابها ، ثم نتخذ بعد ذلك موقفنا ونبدى رأينا .

* * *

وإن هـذا الـكتاب الذى نقدمه اليوم من سلسلة دراساتنا لحـاضر العـالم الإسلامى قد تعرض فى البحث الأول منه لدراسة عوامل قيام النهضات الحديثة فى الشرق الإسلامى وبيان أن هذه العوامل ترجع فى جملتها إلى عاملين رئيسيين، عامل دينى وعامل قومى . ولقد ذكرنا أننا نقصد بالعامل الدينى تأثر المسلمين فى حركات النهوض بالمبادىء الدينية الإسـلامية التى تربى معتنقيها تربية العزة والـكرامة ، وتدعوهم لئلا يجعلوا للأجنبى عليهم ولاية ولأن يأخذوا بأسباب النهوض والتقدم من إعداد العدة ومسايرة الزمن وطَرْق أبواب العلم والمعرفة .

كذلك ذكرنا مانقصده بالعامل القومى ، وحددنا معنى القومية فى الشرق الإسلامى ، وفرقنا بين هذه القومية وبين القومية التى سادت الغرب المسيحى وأعطت حركات الاستقلال فيه طابعها فى القرن التاسع عشر الميلادى ، كما بينا بعد ذلك تآزر العاملين ، الدينى والقومى ، فى دفع شعوب الشرق الإسلامى فى العصر الحديث نحو النهوض والاستقلال .

وبعد هذا التمهيد تعرض الكتاب لبحث النهضة العربية السعودية ، فكان لابد لنا من بحث الأسس التى قامت عليها . فتعرضنا فى اختصار لدراسة تاريخ الزعيم والمصلح الإسلامى الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولبيان دعوته الإسلامية التى عرفت « بالمذهب الوهابى » ثم عقبنا على ذلك بذكر قيام الدولة السعودية الوهابية على أساس من هذه الدعوة ، مع بيان أحوال تلك الدولة فى عصريها الأول والثانى باختصار .

وأخيراً تعرضنا لدراسة النهضة السعودية الحديثة ، أو الدولة السعودية فى عصرها الثالث ، دولة صاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود . ولقد قسمنا البحث فى هذا القسم من الكتاب إلى أربع مراحل ، المرحلة الأولى من نشأة عبد العزيز آل سعود إلى استيلائه على الرياض وتأسيسه للدولة السعودية الثالثة ، والثانية من الاستيلاء على الرياض فى يناير سنة ١٩٠٢ م إلى تحالفه مع الإنجليز وعقد معاهدة الطائف سنة ١٩١٥ م ، والثالثة من ذلك الحين إلى سنة ١٩٢٦ م حيث تودى بعاهل الجزيرة ملكا على الحجاز بعد أن تم له فتحه ، والمرحلة الرابعة والأخيرة من ذلك الوقت إلى الآن .

ولقد تعرضنا فى بحثنا لتاريخ المملكة العربية السعودية لكثير من مشاكل العالم العربى وقضاياه التى شغلت الأذهان فى الأيام الأخيرة مع بيان موقف الحكومة السعودية منها ، مثل مشروع « سوريا الكبرى » ومسعى الأمة العربية للوحدة الذى انتهى بإنشاء « جامعة الدول العربية » .

وفى النهاية رأينا أن نذيل الكتاب بملحق يجمع الوثائق والمعاهدات التى ورد ذكرها ، والتى تعرضنا لبحثها فى ثنايا الكتاب ليتم الغرض وتكمل

الفائدة ؛ وليسهل على القارىء الرجوع إليها إذا أراد .

ونحب أن نثبت فى ختام هذه الكلمة أننا انتفعنا فى بحثنا بكل الكتب المطبوعة والمخطوطات التى استطعنا الحصول عليها ، ولم ندخر جهداً فى سبيل الحصول عليها . كما انتفعنا بكل مانشرته الصحف والنشرات وبالكثير من معلومات الثقات ومشاهداتهم . وإنا نود أن تهيأ لنا الفرصة القريبة إن شاء الله لزيارة هذه البلاد الكريمة الشقيقة التى كتبنا عنها ، لنشاهد بأنفسنا ، وندرس عن مشاهدة لنؤكد معلوماتنا أو نعدل فيها حسب مايبينه الواقع ويوضحه . وسيرى القارىء فى الهوامش الكثير من المراجع والأسانيد التى انتفعنا بها .

كذلك أحب ألا يفوتنى أن أتقدم بالشكر الجزيل لجميع الذين تفضلوا بإمدادى بمعلوماتهم ، وبمعونتى فى الحصول على بعض الكتب أو الوثائق التى كان يعجزنى الحصول عليها . وأخص من بين هؤلاء بالذكر حضرة صاحب المعالى الأستاذ فؤاد بك حمزة ؛ وزير الدولة فى المملكة العربية السعودية[1] ، فكثيراً ما لجأت إليه حينما كانت تنفد حيلتى فى الحصول على بعض الكتب أو الوثائق ، فكان دائما مثال العالم الكريم الذى لايدخر وسعاً فى إمداد الباحثين بكل ما يستطيع من معونة تيسر لهم البحث وتعينهم على الوصول إلى الحقيقة ، كما انتفعت كثيراً بكتبه القيمة ، التى ألفها عن المملكة العربية السعودية ، فجزاه الله عنا خير الجزاء .

محمد عبد الله ماضى

القاهرة فى : المحرم سنة ١٣٧١ هـ
أكتوبر سنة ١٩٥١ م

(١) توفى الأستاذ فؤاد حمزة إلى رحمة الله تعالى بلبنان بعد ظهور الطبعة الاولى بأيام .